

أضواء البيان

@ 313 وقوله : { وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيََ الَّذِينَ أَسَاءُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيََ الَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِالْحُسْنَى } ، وقوله : { أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِّىَّ يُمْنَى } إلى غير ذلك من الآيات . قوله تعالى : { وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ } . ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أن الساعة آتية ، وأكد ذلك بحرف التوكيد الذي هو (إِنَّ) وبلام الابتداء التي تزلقها إن المكسورة عن المبتدأ إلى الخبر . وذلك يدل على أمرين : .

أحدهما إتيان الساعة لا محالة . .

والثاني أن إتيانها أنكره الكفار ، لأن تعدد التوكيد يدل على إنكار الخبر ، كما تقرر في فن المعاني . .

وأوضح هذين الأمرين في آيات أخر . فبين أن الساعة آتية لا محالة في مواضع كثيرة كقوله : { إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِيَجْزِيََ كُلُّ سُوءٍ } وقوله : { وَإِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَإِنَّ اللَّهَ يَدْعُ مَن فِي الْقُبُورِ } وقوله : { إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَدِيدَةٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا } ، وقوله : { وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ } ، وقوله : { وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ } ، وقوله : { وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُذِئِبُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ } ، وقوله : { قُلْ إِنَّمَا عَلَّمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي لَأُجَلِّسَنَّ لَهَا لِيُقَالَ لَهَا إِذَا هِيَ تَقُولُ فَسَوْفَ نَقُولُ وَلِئَلَّا يَكْفُرَ الْإِنْسَانُ بِمَا كَفَرَ إِذْ رَأَى السَّاعَةَ } ، والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً . .

وبين جل وعلا إنكار الكفار لها في مواضع آخر . كقوله : { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَآ تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ } وقوله : { زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنْ لَّنْ يُدْعَثُواْ } وقوله : { إِنَّ هَآؤُلَاءِ لِيَقُولُونَ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْ تَتُّنَا الْأَلْوَاحِى وَ مَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ } والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً . قوله تعالى : { فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ } . أمر [] جل وعلا نبيه عليه الصلاة والسلام في هذه الآية الكريمة أن يصفح عن أساء الصفيح الجميل . أي بالحلم

والإغضاء . وقال علي وابن عباس : الصفح الجميل : الرضا بغير عتاب . وأمره صلى الله عليه وسلم يشمل
حكمة الأمة . لأنه قدوتهم والمشرع لهم . .
وبين تعالى ذلك المعنى في مواضع آخر . كقوله : { فَاصْفَحْ ° عَنَّهُمْ ° وَقُلْ ° سَلَامٌ °
فَسَوْفَ ° يَعْلَمُونَ ° } { وَإِذَا خَاطَبْتَهُمْ °